



مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية - مدى -

الشباب المغربي والقيم: بين الثبات والتغير

دراسات

دراسة منشورة بالعدد 41
من مجلة رهانات



شريكي هناء

أستاذة علم الاجتماع جامعة شعيب الدكالي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مختبر البحث: التاريخ، الإبستمولوجيا والمجتمع - الجديدة / المغرب

الشباب المغربي و القيم: بين الثبات و التغيير

في الاستحقاقات الانتخابية، الانخراط بالأحزاب السياسية، الجمعيات، النقابات، إلخ.

1. الأدبيات

موضوع العرض والنقاش

استرعت القضايا المرتبطة بالشباب في المجتمع المغربي اهتمام البحث السوسيولوجي، منذ بداية ستينيات القرن العشرين، حين بدأ التفكير في دراسة الشباب² في علاقته بمجموعة من القضايا، والإشكالات السوسيولوجية، المرتبطة أساسا بتشخيص وضعية الشباب المتمدرس، بمدينتي فاس والدار البيضاء، وذلك في إطار دراسة التحولات الاجتماعية التي شهدتها المجتمع في تلك المرحلة، والتعرف على آراء الشباب بخصوص هذه التغيرات. إلا أن البحث

منها الحقول القيمة التالية:

• **الأسرة والزواج:** يتعلق هذا المحور بالتعرف على مواقف الشباب من الزواج، السن المثالي عند الزواج الأول، الشريك المثالي، إلخ، وما يرتبط بها من قيم تنتظم وفقها العلاقات الزوجية، علاقة الآباء بالأبناء والروابط القرابية.

• **العمل:** يرتبط هذا المحور بدراسة مختلف التمثلات المتصلة بالعمل، كقيمة اجتماعية، الشغل المثالي، الأجر والمبادرة الحرة.

• **الدين:** نتوخى من خلال هذا الشق من البحث دراسة علاقة الشباب بالدين، مع التركيز على سجلين مختلفين: الدين الرسمي، والدين الشعبي.

• **المشاركة السياسية والجمعية:** يتعلق الأمر بدراسة القيم المرتبطة بالمشاركة في الشأن العمومي، عبر قياس مجموعة من المؤشرات، كالمشاركة

اشتغلت السوسيولوجيا المغربية، على امتداد نصف قرن تقريبا، على قضايا الشباب، إذ يتوفر حشد من هذه الأدبيات التي وإن اختلفت من حيث المقاربة، والمنهج، والمضمون، والسياق التاريخي الذي أنجزت خلاله، فإن تقديمها وفق كرونولوجية تاريخية معينة، من شأنه أن يسهم في الكشف عن التحولات التي مست المنظومة القيمة للمجتمع المغربي، خصوصا عند الشباب.

إن عرض هذه الدراسات عرضا نقديا، يمكن أن يعكس المؤشرات والعوامل الدالة على حجم التغيرات الاجتماعية، ودرجة تأثيرها في القيم المسيرة للمجتمع، وذلك لكون التغير الاجتماعي يحدث تحولات من الممكن ملاحظتها والتحقق منها عبر التاريخ، سواء تعلق الأمر بالجماعات أو المؤسسات¹. وتنقسم موضوعات هذه الدراسات الى محاور شتى يمكن أن نختار

الهوامش

1 - G. Rocher. Introduction à la Sociologie Générale : Le Changement Social. Editions HMH. Paris. 1968. p. 17.

2 - André Adam. Une Enquête Auprès de La Jeunesse Musulmane du Maroc, Publications des Annales de la Faculté des Lettres. Aix-en Provence. 1962.



السوسيولوجي في تلك الفترة، واجه الكثير من الصعوبات والعراقيل التي تعزى إلى طبيعة مجال البحث، إذ جاءت هذه الدراسة بعد سنوات قليلة من الاستقلال، في مرحلة متأججة من تاريخ المغرب طبعت بوجود أفكار سياسية مبطنة لدى الساكنة، وبحضور شعور من الحذر والحيطة من الأجنبي الذي كان يمثل بالنسبة لها صورة المستعمر.³

تجعلنا قراءة وتصنيف الأدبيات السوسيولوجية المغربية حول الشباب نقف على مفارقة هامة؛ فإذا كان الشباب حاضرا بقوة كمتغير رقمي داخل المشهد الديموغرافي في المجتمع المغربي⁴، فإنه لا يعرف نفس هذا الحضور داخل الاهتمامات السوسيولوجية، نعني القول بوجود هوة بين مكانة الشباب الضعيفة في هذه الدراسات وحضوره الديموغرافي الطاغى، لذا تم نعته بـ «القريب الأفقر لأبحاث العلوم الاجتماعية».⁵

يبدو أن إعادة قراءة بعض من هذه الدراسات، على ضوء التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع المغربي، مع التركيز على التغيرات التي مست موضوع هذه الأبحاث -الشباب-، واستخلاص أهم نتائجها كحصيلة مسار علمي، وتراكم معرفي يناهز خمسة عقود خلت، سيمكننا من الإجابة على شق من هذه التساؤلات وتوضيح هذه المفارقات.

لا تدعي هذه المحاولة جرد جميع

بالضرورة تجاوزها. فإذا لم يتمكن البحث السوسيولوجي، بحكم مقتضيات التحول الاجتماعي ووثيقته، من الحفاظ على نفس قيمته العلمية بمرور الأعوام، إلا أن البعض من هاته الدراسات لم تفقد قيمتها «التاريخية» كدراسات رائدة في هذا المجال.

تندرج دراسة باسكون، وبنطاهر في هذه الخانة من المحاولات، ففي دراستهما حول الشباب القروي، حاولا طرح السؤال حول قضايا مرتبطة بالشباب، في زمن كان فيه البحث السوسيولوجي بعد فتيا في المجتمع المغربي، والسؤال العلمي شبه محظور اجتماعيا وسياسيا.⁷

رغم هذه العقبات الموضوعية، تمكن الباحثان من التعرف على آراء ومواقف 296 شاب قروي (ذكورا فقط)، تتراوح أعمارهم ما بين 12 و30 سنة، حول مواضيع مختلفة ذات صلة مباشرة بواقعهم. مكنت المعرفة المسبقة للباحثين بطبيعة مجال الدراسة، من اختيار المقابلة شبه الجماعية الموجهة

الدراسات السوسيولوجية حول الشباب المغربي، بل هي مجرد تقديم لمجموعة من بين أهم الكتابات التي عالجت الموضوع، انطلاقا من سجلات متعددة، وفترات زمنية وتاريخية مختلفة، ومنهجيات بحث متباينة، وذلك سعيا منا إلى التوقف عند المحطات الهامة، التي تعكس تطور البحث السوسيولوجي المغربي، سواء من الناحية المنهجية أو الفئة المستهدفة، لهذا اخترنا ست دراسات، صنفناها وفق المحاور التالية:

1. دراسة ذات قيمة «تاريخية»:

تمثل دراسة باسكون، وبنطاهر، المعنونة «ما صرح به 296 شابا قرويا» (1969)⁶ واحدة من بين أول الأعمال السوسيولوجية حول الشباب، إلا أن لها خصوصيتها المتميزة من ناحيتين، الأولى، في دراسة فئة من الشباب المغربي وهو الشباب القروي، والثانية، الحقبة الزمنية التي أجريت فيها والتي تفصلنا عنها زهاء الأربعة عقود، غير أن أهميتها العلمية لا يجب أن تخفي «قدمها»، الذي لا يعني

دراسة : الشباب المغربي والقيم: بين الثبات والتغير

والمقابلة الفردية شبه الموجهة كتقنيتين للبحث.

2. دراسات حول الشباب وإشكالية القيم:

هناك العديد من الأبحاث التي تندرج في هذا الباب، أولها «الشباب المغربي بين الخضوع والتمرد»⁸ التي سعت من خلاله منية بناني الشرايبي، الوقوف على مختلف التحولات التي مست الشباب المغربي المسلم، ابتغاء فهم هذه التغيرات وبالتالي فهم المنظومة القيمية السائدة بالمجتمع المغربي.

انطلقت الباحثة خلال دراستها من المعاينة التالية: أن 70% من الساكنة المغربية لا تتجاوز أعمارهم 30 سنة، ويرجع هذا الارتفاع في نسبة الساكنة الشابة إلى انخفاض نسبة وفيات الأطفال بعد الاستقلال، وكذا انخفاض نسبة النمو

الديموغرافي منذ سنة 1985. كما عاينت الباحثة، وفي نفس الفترة، أن نسبة التمدين أصبحت تقارب 50%. استهدف البحث 37 شابا حضريا ينتمون لمدن مختلفة وتتراوح أعمارهم ما بين 16-30 سنة، إناثا وذكورا، من مستويات تعليمية وامتيازات مهنية متفاوتة.

أما الدراسة الثانية المعنونة «الشباب الجامعي المغربي: قيم واستراتيجيات»⁹، فتتعلق بدراسة الشباب الجامعي، والتي أنجزت سنة 1995، بأربع مؤسسات جامعية بمدينة الرباط.¹⁰ تمكنا هذه الدراسة، من رصد التحولات التي تعرفها القيم، سواء تعلق الأمر بتطابقها أو اختلافها، بين شباب تجمعهم فئة السن، وتفصل بينهم ظروف الإقامة والمستوى التعليمي، فإذا كان الشباب الجامعي يتقاسم وباقي شرائح الشباب نفس المواقف، والسلوكات والانتظارات،¹¹

فإن ولوجه للتعليم الجامعي يدفعنا إلى إعادة النظر في هذا المعطى. في هذا السياق، جاء هذا البحث لدراسة هذه الفئة في علاقتها بالتحولات الاجتماعية، والمنظومة القيمية التي يعرفها المجتمع المغربي.

اعتمدت الدراسة على نتائج بحث ميداني أنجز على مستوى جامعة محمد الخامس بالرباط، لكونها الجامعة التي تحتل المرتبة الأولى بين باقي المؤسسات من حيث نسبة الشهادات (إجازات وما يعادلها) المحصل عليها بهذه الجامعة برسم سنة 1989 والتي وصلت إلى 26.52%¹² من مجموع الطلبة المسجلين، بمختلف المؤسسات الجامعية المغربية، وكذا لأنها أقدم جامعة حديثة بالمغرب، الشيء الذي يجعل منها النموذج الذي يمكن أن تقاس عليه توجهات ومواقف الشباب الجامعي المغربي.

الهوامش

3 - Ibid. p. 8-9.

4 - وصلت نسبة الأشخاص المتراوحة أعمارهم ما بين 15 و24 سنة 18.3%، وذلك حسب دراسة رسمية قامت بها المندوبية السامية للتخطيط-المغرب، سنة 2012.

5 - R. Bourqia, M. El Ayadi, M. El Herras, H. Rachik. Les jeunes et les valeurs religieuses, Eddif-CODESRIA, Casablanca, 2000. p. 9.

6 - Paul Pascon, Mekki Bentaher. Ce que disent 296 jeunes ruraux, Bulletin Economique et Social du Maroc (BESM) n° 112-113, janvier-juin. Rabat, 1969. p. 145-287.

7 - نشير هنا إلى أن هذا البحث أنجز قبيل إغلاق معهد العلوم الاجتماعية بقرار حكومي، سنة 1971، وكان المشرفان على هذه الدراسة من بين أساتذته أو المتعاقدين معه.

8 - Mounia Bennani-Chraïbi. Soumis et Rebelles. Les Jeunes au Maroc. Editions du CNRS. Paris. 1994.

9 - R. Bourqia, M. EL Harras, D. Bensaid. Jeunesse Etudiante Marocaine. Valeurs et Stratégies. Fondation Konrad Adenauer. Rabat. 1995.

10 - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية، كلية العلوم، كلية الطب والصيدلة، معهد الزراعة والبيطرة والمعهد الوطني للإحصاء والاقتصاد التطبيقي.

11 - R. Bourqui, M, EL Harras, D. Bensaid. Op.cit. p.9

12 - Mekki Merrouni, L'enseignement supérieur au Maroc, Faculté des sciences de l'Education, Rabat, Avril 1991, p 52, cité par R. Bourqui, M, EL Harras, D. Bensaid; op.cit. p. 15.

تتكون العينة من 500 طالب، تم اختيارهم من بين مجموع الطلبة المسجلين بالسنة الرابعة برسم السنة الجامعية 1991-1992 وفق منهج «الكوتا»، اعتمدت الاستمارة كتقنية للبحث.

أما البحث الوطني حول القيم (2005)¹³ فيتوخى التعرف على التحولات القيمية التي عرفها ومازال يعرفها المجتمع المغربي. إن الهدف الرئيس الذي حاول البحث الوصول إليه، هو تحديد المنظومة القيمية التي يشغل وفقها المجتمع، أي تحديد «القيم الغالبة» أو القيم المفضلة لدى الأفراد، وفي الوقت ذاته الوقوف على «القيم غير الغالبة» التي يمكن أن تدرج ضمن القيم «القديمة أو المتقدمة»، التي بدأت تعرف نوعا من التهميش، وكذا دراسة صنف آخر من القيم وهي القيم «الناشئة».

3. دراسات حول الشباب والتدين:

تتعلق الدراستان اللتان يتم تناولهما في هذا الباب بالقيم الدينية بالمجتمع المغربي، إذ احتل التدين لدى الشباب مكانة متميزة في الأدبيات السوسولوجية، فإذا كانت دراسة أندري آدم¹⁴، وأعمال سوسولوجية أخرى¹⁵، تتميز بطابعها التاريخي وبالتساؤل عن دور القيم الإسلامية في مجتمع ما بعد الاستقلال، فإن هاتين الدراستين قد واكبنا الدينامية التي خلقها ظهور الحركات الإسلامية منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي، وعقب

أحداث 16 ماي 2003، التي أعادت إلى المواجهة دور التنظيمات الإسلامية، وقدرتها على تجنيد الشباب وتوجيه قيمهم الاجتماعية والثقافية.

يتوخى البحث الخامس المقدم خلال هذه الأدبيات، الذي يحمل عنوان «الشباب والقيم الدينية» (2000)¹⁶، التعرف على القيم الدينية التي يحملها الشباب المغربي؛ تعد هذه الدراسة حصيلة بحث ميداني تم إنجازه سنة 1995 بمدينة الرباط، والذي شمل 865 مستجوبا تلامذة وطلبة ينتمون إلى مؤسسات تعليمية وجامعية مختلفة. أما فيما يخص تقنيات البحث، فقد تم الاعتماد على تقنيتي الاستمارة والمقابلة.

ارتكز البحث على دراسة قيم ومواقف المستجوبين، ومعتقداتهم الدينية (الفصلان الأول والثاني) وعلى العلاقات الأسرية، وانتظارات الشباب المتدرس (الفصل الثالث) وكذا درجة تسامحه (الفصل الرابع).

أما الدراسة السادسة المعنونة «الإسلام في اشتغاله اليومي» (2007)¹⁷، فتتعلق بدراسة المعتقد الديني في اشتغاله الواقعي و«المألوف»، إذ يقترح البحث قراءة جديدة للممارسات الدينية اليومية وتوضيح الحدود الفاصلة واللبس الموجود بين «الدين العالم» و«الدين الشعبي».

شمل البحث عينة تمثيلية تتكون من 1156 مستجوبا ينتمون إلى مختلف جهات المغرب، يمثل الإناث 47.3% من

المستجوبين، مقابل 52.7% من الذكور، ينتمي 58.2% منهم للوسط الحضري من بينهم 32.4% ينحدرون من مدن كبرى، فيما ينتمي 41.8% من العينة للوسط القروي. يمثل الشباب أقل من 25 سنة نسبة 28.3% من مجموع العينة، بينما لا يشكل الأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر سوى 16%.

II. تحليل النماذج المختارة

1. دراسة ذات قيمة «تاريخية»:

شكل تعريف الشباب القروي المستجوب لمرحلة يعيشونها نقطة اختلاف وتباين، إذ كشفت أجوبتهم عن وجود مفارقة صارخة بين تعريف مرحلة الشباب كما يعيشه الذكور، وكما تعيشه الإناث؛ حيث تمر الفتاة القروية إلى مكانة الزوجة، والأم دون المرور بمراحل وسيطة، بينما نجد أن الشباب والمراهقة، ومرحلة ما قبل سن الرشد عند الذكور هي الفترات الأكثر امتدادا في مسارهم العمري.¹⁸

من وجهة النظر هاته، ارتبط الانتقال من الطفولة إلى الشباب بالنسبة لـ 23% من الشباب المستجوب، بالاندماج بجماعات الكبار والتخلي عن عالم الصغار، بينما اعتبر 15% منهم أن استكمال الدراسة يفسح المجال للفرد للتفكير والانفتاح على عالم الكبار، في حين ربط بعض المستجوبين هذا الانتقال بمحددات فيزيولوجية-بيولوجية،

دراسة : الشباب المغربي والقيم: بين الثبات والتغير

المتعلقة أساسا بعلامات البلوغ (11%)، وبالرغبات والممارسات الجنسية (6%)، في حين، شكل الاهتمام بالمستقبل والتفكير بالعمل والزواج (10%)، واحترام التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية (9%) المحدد الأساس للمرور لسن الرشد.

• الأسرة: عملت الدراسة على التعرف على مواقف الشباب القروي حول الأسرة، انطلاقا من الربط بين ثلاثة مستويات: (أ) النموذج السلطوي، (ب) الاستشارة، (ج) أبعاد الأسرة.

أ. تبين أن النموذج الأسري التقليدي المتمثل في السلطة الذكورية، مازال حاضرا بقوة بالمجتمع القروي المغربي، حيث يعد الرجل (الأب، الجد، الأخ الأكبر، ...)، بالنسبة لـ 68% من المستجوبين، المسؤول عن الأسرة، مقابل 32% من الحالات التي تعتبر المرأة المسؤول

عن إدارة الأسرة.

على الرغم من استمرارية السلطة الذكورية، إلا أن سلطة الجيل عرفت تراجعا لافت للنظر، إذ لم تتجاوز نسبة الأجداد الموكل لهم مسؤولية الأسرة سوى 4% من الحالات المدروسة، مقابل 71% بالنسبة للآباء والأشخاص من نفس جيلهم، و25% بالنسبة للشباب.

ب. لا يتم اللجوء لاستشارة المرأة إلا بنسبة 36% من الحالات المدروسة، مقابل 64% بالنسبة للاستشارات الذكورية. كما يستبعد الشباب، أيضا، أجدادهم (1% فقط) من المشورة، ويفضلون الأقارب من نفس جيل الأب وجهته (النسب على التوالي 70% و60%)، بينما لا يتعدى نصيب استشارة الأقارب من جهة الأم 30%، في حين يستشير الشباب المستجوب الأشخاص من نفس

جيلهم بنسبة 29%.

ج. «إن النموذج الأسري للقريّة المغربية لا يزال، وبشكل واسع، نموذجاً أبائياً، فإذا كانت هناك إمكانية تغيير الواقع الاجتماعي بشكل سريع، بالنسبة للأسرة، فذلك سيكون بمعية الشباب والمواقف التي يتخذونها، حيث لاحظنا من خلال هذه الدراسة وجود اختلاف ملحوظ بين النموذج التقليدي وواقع التراتبية الموجودة داخل الأسرة وموقف الشباب تجاه هذه المكونات»¹⁹.

• المرأة: إذا كان الدور الواقعي للمرأة حسب المستجوبين هو كالتالي: 30% نساء منتجات، 59% ربّات بيت، إلا أن لديهم تصورا آخرًا للدور الذي يجب أن تلعبه المرأة بوسطهم، حيث اعتبر 75% من الشباب أن وظيفتها الأساسية هي أن تكون ربة بيت، مهمتها القيام بالأعمال

الهوامش

13 - H. Rachik. Rapport de Synthèse de l'Enquête Nationale sur les Valeurs, Cinquantenaire de l'Indépendance du Royaume du Maroc. 2005.

14 - A. Adam. Op. cit.

15 - P. Pascon, M. Bentaher; op.cit.

- Mohamed Tozy. Champ et Contre Champ Politico-Religieux Au Maroc, Thèse De Doctorat d'Etat. Aix-en-Provence. 1984.

- M. Bennani-Chraïbi. Soumis Et Rebelles, Les Jeunes Au Maroc. CNRS-Editions. Paris.1994.

- R. Bourqia, M. El Harras, D. Bensaid. 1995. op. cit.

16 - R. Bourqia. M. El Ayadi. M. El Harras. H. Rachik. 2000. op. cit.

17 - M. El Ayadi, H. Rachik, M. Tozy. l'islam au quotidien, Enquête Sur les Valeurs et les Pratiques Religieuses au Maroc, Editions Prologues, Casablanca, 2007.

18 - P. Pascon, M. Bentaher. op.cit. p. 212.

19 - Ibid. p. 242

المنزلية وتربية الأبناء ومساعدة الزوج وتلبية رغباته وتوفير المتعة له، كما أن وجوب طاعة الزوج وعدم مجادلته شرط يجب توفره بالزوجة، وهذا ما عبر عنه 22% من الشباب المستجوبين. إلى جانب ذلك، لا يجب على الزوجة مغادرة البيت (24%)، ولا التكلم مع الغرباء (24%)، ولا العمل خارج البيت (16%)، ولا اتباع الموضة (فيما يتعلق باللباس) 7%²⁰.

يظل اختيار الزوجة، إلى حد بعيد، مسألة مرتبطة بالأبوين والأقارب (النسب على التوالي 38% و6%)، بينما لا يشكل اختيار الشاب لشريكته سوى 40%.

• **العمل:** يعتبر العمل بالنسبة للشباب القروي نشاطا مؤدى عنه، أو جهدا، وعناء، أو واجبا معنويا تجاه الآباء. أكد قلة من الشباب القروي أن الأعمال الفلاحية هي أنشطة تروقهم، غير أن 40% تقريبا منهم من يقبلوا بهذا العمل، و23% لديهم طموحات كبيرة بالمقارنة مع وسطهم في أن يصبحوا طلبة، أو موظفين، أو أطرا، أما 10% منهم فيريدون العمل بالمصانع، ويود 9% من المستجوبين تعلم مهنة أو حرفة متخصصة.²¹ أما 28% من المهن المرغوب فيها، فتظل المدرسة السبيل الوحيد للحصول عليها كالتوظيف بإحدى القطاعات الحكومية أو بعض المهن الحرة، بينما يميل 12% من الشباب إلى مزاوله أنشطة تجارية أو خدماتية

شريطة ألا تتطلب رأسمال ضخمة، بينما يعتبر 60% من الشباب المستجوب مراكز التكوين هي الحل للولوج للعمل المرغوب فيه.

تخلو الشباب عن العالم الذي يؤمن بالاكتمال الذاتي، لصالح العالم التجاري والعمل المأجور، حيث يعتبر الشاب أن عمله داخل حقول الأسرة واجبا والتزاما معنويا، إلا أن حلمه هو أن يصبح عاملا داخل ورشة يعمل وفق ساعات محددة، وأجر معروف.

لذا تظل الرغبة والحاجة للولوج للمدرسة ملحة لدى الشباب القروي، حيث تتوقف رغبتهم هاته على فهم العالم المحيط بهم، كما يهتمون أكثر من آبائهم بإشباع رغباتهم وحاجياتهم الفكرية والمعرفية. يجد الشباب المستجوب في الولوج للمعرفة العلمية الحديثة الوسيلة الأنجع للهروب من «العالم المخيف»²² الذي ينتمون إليه، ليتحول التمدن، بالنسبة لهم، إلى العلاقة الدائمة والمستمرة بالتعلم والقراءة والكتابة، حيث يجب أن تظل يدي «الطالب» نظيفتين من تراب الأرض.²³

إن المدرسة بالنسبة للشباب القروي هي ذلك المخدر²⁴ الذي يجعله منبها ودائم الرغبة في التعلم من أجل فك رموز العالم، وأن يكون إلى جانب نظرائه في مركز التقدم واستشراف الغد؛ أشياء من الصعب استبدالها أو التخلي عنها، غير أن المشكل المطروح والذي يشغل

الشباب القروي هو كيفية تكيف المدرسة، وطبيعة العالم القروي للاستجابة لمتطلبات هذه الفئة وانتظاراتها.

إذا عبر الشباب المستجوب عن انبهارهم بالمدرسة، فإن المدينة تشكل، بدورها، بالنسبة لهم مجالا للتسلية، التعليم، حل للمشاكل الإدارية، المؤسسات الصحية الحديثة، حرية الجنس، جمالية السكن والتمدد. علاوة على هذه الأشياء جميعها فالمدينة، وبأفضلية، الفضاء الموفر للعمل وكسب المال.²⁵

كشف إجابات المبحوثين عن الأسئلة التي شكلت محاور هذه الدراسة، على أن الشباب القروي المغربي «محيط من الانتظارات»، إلا أنه لم يجد سبيلا لتحقيقها، فقد كان بإمكان الشباب أن يكون الجماعة الحاملة فكريا للمجتمع الجديد ومحركه الفعلي، إذا ما أتيحت له الفرصة أن يأخذ مكانه داخل سيورة الإنتاج، وضمان تطبيق أفكاره،²⁶ فمن الملاحظ غياب روح المبادرة الفردية في خطاب الشباب المستجوب، إذ نجد أنهم في حالة دائمة من المطالبة بحل مشاكلهم ويحملون الدولة مسؤولية إيجاد الحلول.²⁷ تعزى هذه السلبية لكون هامش تدخل الشباب وفرص إعطاءه المبادرة لا يزال ضيقا ومحدودا.

لا يشكل الشباب، وحسب نتائج هذا البحث، فئة اجتماعية؛ ذلك لكون الانتماء إلى مرحلة الشباب هو مجرد انتماء إلى مرحلة انتقالية. فإذا كان

دراسة : الشباب المغربي والقيم : بين الثبات والتغير

قيمتهم وتطلعاتهم، فإن الدراسات الموالية ستهتم بنفس الفئة، أي الشباب، لكنها ستسائلها في سياقات مختلفة.

2. دراسة حول الشباب وإشكالية القيم:

أ. الشباب المغربي بين الخضوع والتمرد:

إن المشكل الذي أثار اهتمام الشرايبي هو أن المغرب، خلال نهاية ثمانينيات، وبداية تسعينيات القرن الماضي، كان يعرف مشكل اندماج الشباب المتلهف إلى تحقيق ما أسمته «بالحلم الجماعي»³²، إلا أن المنجزات والوعود لم تصل إلى ما يتوق إليه هؤلاء الشباب.

اعتبرت الباحثة أن مختلف المشاكل التي تعترض المجتمع المغربي، والمتمثلة، في الرشوة، البطالة والزبونية، إلخ، تشكل

وتتسم بنفس «الحكمة»³⁰ القائلة بتوافق الطموحات مع الإمكانيات المتوفرة، فإننا لا نجد نفس هذا الاتفاق بين الطرفين عندما يتعلق الأمر بتعدد الزوجات. إن الفرق الموجودة بين الأبناء والآباء بهذا الشأن هو رفض الشباب للتعدد، هذا الرفض المبني على نفس المنطق الذي من خلاله يدبر الشاب إمكانياته المادية، حيث برر المستجوبون عدم قبولهم بتعدد الزوجات (70%) لعدم ملائمة الظروف الاقتصادية، وبرغبتهم في تلافي المشاكل التي تحول دون سعادة الزوجين وتهدد مستقبل الأبناء، وكذا الرغبة في تقليص هامش المشاكل الناجمة عن تعدد الزوجات ومن بينها المشاكل الجنسية.³¹

إذا كانت نتائج هاته الدراسة قد همت شباب العالم القروي، وساءلت

الدخول للشباب يتم عن طريق السن فلا تخضع عملية مغادرته لنفس هذا المعيار (السن)، حيث يتم الخروج من مرحلة الشباب في أحيان كثيرة عن طريق الزواج.²⁸

إن انتماء الشاب المبحوث لفئة الشباب تجعله في نظر الجماعة «مستصغرا»، كيفما كان انتماءه الاجتماعي، ابن فقير أو ابن غني، أمام ملكية الأرض. إن الفرق الوحيد الموجود بين الشابين هو أن ابن الأسرة الغنية تكون حظوظه أوفر في متابعة دراسته والعمل كمدرس أو موظف، دون أن يفقد الأمل في أن يصبح يوما ما مالكا للأرض بعد وفاة الأب.²⁹

إذا كانت طريقة تفكير الشباب تتوافق مع طريقة آبائهم بخصوص تدبير وصرف المال، وتخضع لنفس المنطق

الهوامش

20 - Ibid. p. 259.

22- P. Pascon, M. Bentaher; op. cit. p. 176.

23 - Idem

24 - Ibid. p. 177.

25 - Ibid. p. 205.

26 - Ibid. p. 277-278.

27 - Ibid. p. 278

28 - Ibid. p. 282

29 - Ibid. p. 282-283

30 - Ibid. p. 237

31 - Ibid p.263.

32 - M. Bennani-Chraïbi. Op. cit. p. 23.

21 - أغلبهم من منطقتي سوق السبت وتادلة أي من مناطق قريبة من المعامل.

حالات من الإحباط الاجتماعي والسياسي وعوامل كفيفة، حسب الباحثة، بجعل المجتمع المغربي يعيش «حالة من التحول».

من بين أهم الخلاصات والنتائج التي خلص إليها هذا البحث هو بداية بروز الفرد وانفصاله التدريجي عن جماعته، وبداية بناء الشباب لتمثلات جديدة حول ذاتهم وإنتاجهم لقيم وانتظارات جديدة، ترتبط في رغبتهم في التغيير حتى ولو تعلق الأمر بانتهاك «المحرمات الدينية والجنسية»، الشيء الذي فسرتة الباحثة بـ«التجاذب» الحاصل بين النسق البراغماتي والنسق المعياري،³³ إلا أن هذا الموقف الفردي يلزمه خوف الشباب المستمر من تهديم العلاقات الاجتماعية.

تظل مسألة اندماج الشباب، تبعا لهذه الدراسة، مهمة صعبة لكون النسق الاجتماعي والسياسي لا يمكنهم من تحقيق انتظاراتهم، مما يخلق لديهم «شعورا بالإحباط». فمازالت تشكل الدولة، مركزا للقوة والجبروت (العارفة بكل شيء، الموجودة في كل مكان وواضحة اليد على كل الأقطاب)، الأمر الذي حول الدولة، حسب تمثيل الشباب المستجوب، بشكل فعلي أو ضمني، المسؤول عن الرشوة، الظلم والجور واللامساواة الاجتماعية،

تفرز هذه الأشياء مجتمعة جملة من التمثلات التي تحكم العلاقة بالسياسي، وبالتالي بمختلف وسطائه المفترضين

(الدولة، الحزب، ...)، مما يجعل الفرد في محاولة مستمرة للانفصال عن الجماعة، وبالتالي إفراز فرد يسعى جاهدا إلى إعادة التفكير وإعادة بناء علاقاته مع الآخرين.

ب. الشباب الجامعي: قيم واستراتيجيات:

خلصت الدراسة حول الشباب الجامعي إلى مجموعة من النتائج، سنقدم جزء منها والمتعلقة بالنقط الآتية:

• الأسرة: عند سؤال الشباب المستجوب عن المؤسسات التي تمثل بالنسبة لهم مجال الأمان ومصدر الثقة، احتلت الأسرة المرتبة الأولى بنسبة 79.8%، بينما لم تشكل التنظيمات السياسية، والنقابية سوى نسب ضعيفة (2.2% الدولة، 1.8% النقابات والأحزاب السياسية). انضمت الجامعة إلى دائرة «عدم الثقة»، حيث لم يعبر سوى 3.8% من الطلبة المستجوبين عن ثقتهم بهذه المؤسسة.

مازالت الأسرة مصدر الدعم المادي الأساسي بالنسبة لـ 80.8% من الطلبة المستجوبين، أما المنح الدراسية فلا تشكل سوى 9.6% من هذا الدعم.

رغم وجود علاقة الولاء والطاعة تجاه الآباء كقيمة غالبية عند أغلب المستجوبين، إلا أننا نلاحظ بروز قيم جديدة مبنية على التفاهم. يعتبر 30.6% من الشباب أن الطاعة هي القيمة المنظمة لعلاقتهم بآبائهم، إلا أنه

من الملاحظ ظهور علاقة التفاهم كعلاقة تحكم صلة الآباء بأبنائهم بنسبة 48.2%، أما العلاقة المبنية على الصراع فلا تشكل سوى 4.2%.

كما أكد أغلب الطلبة المستجوبين على وجود تواصل بينهم وبين آبائهم، ومن بين أهم القضايا التي تكون موضوع الحوار بين الطالب وأسرته المواضيع المرتبطة بالحياة الأسرية (55%)، الدراسة (21%)، المواضيع السياسية (6.8%).

يحد الفارق التعليمي بين الطالب وأبويه من درجة التواصل بين الجيلين، على اعتبار أن أغلب أسر الطلبة تنحدر من طبقات سوسيو-مهنية جد متواضعة، الأمر الذي ينعكس على طبيعة المواضيع التي يتناقشون حولها.

خلصت الدراسة إلى أن الأسرة المغربية مازالت تحتفظ بدور ريادي في حياة الطالب، سواء تعلق الأمر بحياته الشخصية أو الجامعية، إذ أنها المعيل الأساسي للشباب خلال مساره الدراسي والجامعي -على المستوى المادي، المعنوي والنفسي-. يشكل الموروث الثقافي والاجتماعي محددات لهذه العلاقة، لتظل الأسرة وفي تراجع أدوار باقي التنظيمات السياسية والاجتماعية المعيل الرئيس لأبنائها.

• العمل: يعد المسار الدراسي مرحلة انتقالية يعيشها الطالب، وينتظر من المرحلة التي تليها تحقيق الاستقرار والاستقلالية بحصوله على عمل قار، إلا أن هذا الانتظار أصبح فعلا وواقعا

دراسة : الشباب المغربي والقيم: بين الثبات والتغير

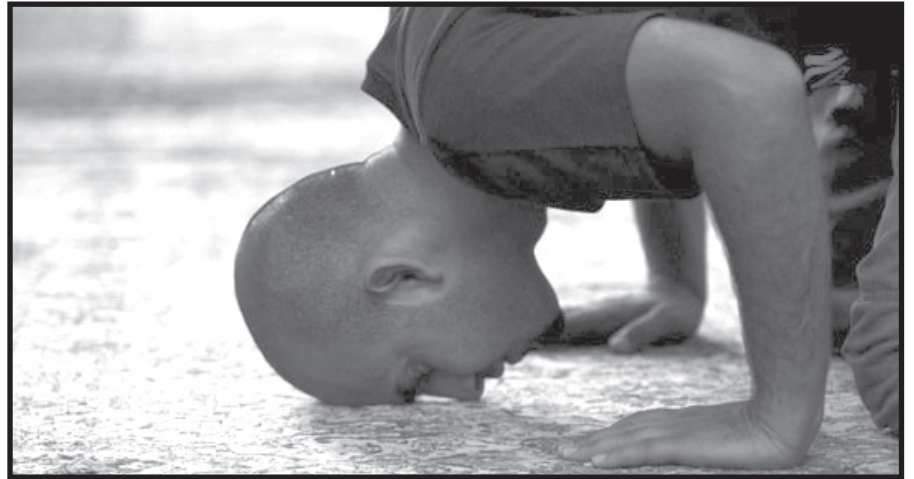
في غياب هذا التأهيل، تظل العلاقات الشخصية والرأسمال الاجتماعي المحددان لولوج القطاع الخاص. إن القناة التي تكونت عند الطلبة هي أن الشهادة ضرورية ولكنها ليست وحدها كافية للحصول على عمل، فإلى جانب الشهادة يجب أن تتوفر لدى الطالب شبكة من العلاقات الشخصية والتوصية والدعم وكذا قسط وافر من الحظ، إذ يؤمن 11% منهم به، 37% التوصية والدعم. غير أن تمثل الطلبة للحظ ليس ذلك الحظ «المطلق»، بل ذلك الحظ المبني على توفر العلاقات الشخصية والرأسمال الاجتماعي.

لقد عبر أغلب المستجوبين على أن الكفاءة العلمية، والاستحقاق يوجدان في حالة صراع مع الزبونية والوساطة؛ كاستراتيجيات اجتماعية ما فتئت تصبح السمة المهيمنة على المجتمع المغربي، لذلك وللتغلب على صعوبات الواقع وضمان عمل قار، يلجأ الشباب إلى البحث عن سبل لتفعيل هاته الاستراتيجيات، الشيء الذي يصعد من حدة عدم الثقة في مستقبلهم.

• المشاركة السياسية والجموعية:

سجلت الدراسة ضعف نسبة مشاركة الشباب الجامعي في تنظيمات المجتمع المدني والتنظيمات السياسية، إذ لا تتجاوز نسبة هذه المشاركة 10.8%، كما لم يبد سوى 19.6% من الشباب غير

كلما انتقلنا من الطبقة الفقيرة إلى الطبقة المتوسطة ثم الميسورة (النسب على التوالي: 47.5%، 37.5%، 14.3%)، الشيء الذي يؤكد أن هذا القطاع يمثل بالنسبة للطلبة «بر الأمان وطوق النجاة». كما أن باقي الطلبة المنحدرين من الطبقات الأخرى، ليس لديهم نفس الهاجس المرتبط بالحصول على عمل، أو بالأحرى ورغم وجوده، لا يكون حاضرا بنفس



الحدة، هذا من جهة. أما من جهة أخرى، فالانتماء لأسرة متعلمة وذات رأسمال ثقافي واجتماعي معينين، يمكن الطلبة من اختيار موجه لمساراتهم الجامعية وبالتالي سهولة ولوجهم لمناصب مهنية تتوافق ومتطلبات سوق الشغل. في حين أصبح القطاع الخاص محط اهتمام عدد كبير من الطلبة، غير أنه يتطلب تكويننا تأهيلا، الشيء الذي لا توفره في غالب الأحيان الجامعة المغربية.

مؤجلين، وخصوصا بالنسبة لطلبة الآداب، والحقوق والعلوم، حيث إن الحصول على الشهادة لا يعني بالضرورة الحصول على عمل. لذا لا تنتهي «مرحلة التمدرس» عند هذا الحد، بل تليها مرحلة مشحونة بالانتظار، وباللايقين، ومحاولات متكررة من البحث عن فرص للتشغيل.

تشكل الوظيفة العمومية بالنسبة للطلبة «الأمان»، أي الوسيلة الوحيدة للحصول على راتب شهري قار، فبالنسبة لـ 36% من الطلبة المستجوبين، تعد الوظيفة العمومية الاختيار الأمثل، كما أنها أيضا مطلب وأمل طلبة كلية الآداب (50.5% مقابل 27.6% من طلبة كلية الطب).

خلصت الدراسة أيضا إلى أن الرغبة في الاشتغال بالوظيفة العمومية، تقل

الهوامش

33 - M. Bennani-Chraïbi. op. cit. p. 317

المنخرط في هذه التنظيمات عن رغبتهم المستقبلية في الانخراط فيها.

يترجم التراجع في نسبة انخراط الشباب في التنظيمات السياسية وتنظيمات المجتمع المدني عدم الثقة في هذه المؤسسات.

• **الممارسات الدينية:** من الصعب تحديد النسق القيمي الذي يشتغل وفقه المجتمع المغربي، لتعدد المكونات الاجتماعية والثقافية التي يعرفها مجتمعنا، وبالتالي فالتساؤل حول المنظومة القيمية للشباب المغربي ليس بالأمر اليسير، ولهذا حاول هذا العمل التعرف على مواقف هذه العينة من خلال بعض ممارساتهم، وبعض «المثل العليا» التي تثير النقاش على المستوى الإيديولوجي (الدين، الهوية...).

يحتل الدين مكانة مهمة داخل المخزون القيمي للمجتمع، فأغلب الطلبة يؤدون الصلاة، إما بشكل منتظم أو غير منتظم، كما يحترمون تعاليم الإسلام، الأمر الذي ينطبق مع التعريف الذي يعطيه الحس المشترك المغربي «للمسلم الجيد»، الذي يعتبر أن هذا الأخير ليس بالضرورة هو الشخص الذي يمارس جميع الطقوس الإسلامية، بل من يحترم تعاليم الإسلام.³⁴

يتضح من نتائج هذه الدراسة بأن التحولات الاجتماعية قد مست بصفة أساسية استراتيجيات الشباب، أما على المستوى القيمي فإن التحول يظهر بوثيرة أبطئ، كما أنه قد سجل بعض التراجعات، وهو أمر سنوضحه بعد

الانتهاء من استعراض نتائج الدراسات الأخرى.

ج. البحث الوطني حول القيم:

ارتكزت الأسئلة المتعلقة بهذا المحور على تحديد مواقف وتمثيلات المستجوبين تجاه السياسة بصفة عامة، حيث توصلت هذه الدراسة إلى وجود «شبه» غياب المشاركة في منظمات المجتمع المدني والمنظمات السياسية، حيث إن نسبة الانخراط في الأحزاب السياسية لا تتعدى 2%، كما لا تتجاوز نسبة الانخراط في النقابات 2%، أما نسبة الانخراط في الجمعيات فتعرف ارتفاعا نسبيا بالمقارنة مع التنظيمات السابقة الذكر بنسبة 7% وخصوصا جمعيات التنمية وجمعيات الأحياء.³⁵

عمل البحث أيضا على رصد مستقبل وآفاق انخراط المبحوثين في مثل هذه التنظيمات،³⁶ فعبّر المستجوبون، وبنسب متفاوتة، عن ميلهم للانخراط في تنظيمات المجتمع المدني، فكانت النتائج كالتالي:

• 10% يرغبون في الانخراط في أحزاب سياسية، 12% أبدوا رغبتهم في الانضمام للنقابات، 36% يميلون إلى الانخراط في تعاونيات، 32% إلى 41% يرغبون الانخراط في جمعيات.

أما الشباب المتراوحة أعمارهم ما بين 25 و34 سنة،³⁷ فقد كانت مواقفهم كالآتي:

• 52% من الشباب مقابل 72% من

الأشخاص الذين يتجاوز عمرهم 59 سنة لهم ثقة في مستقبل المغرب، 44% من الشباب عبروا عن رغبتهم في الانضمام لجمعيات، مقابل 13% من الأشخاص الذين يتجاوز عمرهم 59 سنة، 9% من الشباب منخرطون في جمعيات، مقابل 3% من الأشخاص الذين يتجاوز عمرهم 59 سنة.

أما فيما يخص الشأن السياسي، فقد توصل البحث³⁸ إلى أن 50% فقط من الشباب مسجلين باللوائح الانتخابية و38% منهم فقط من شارك في الانتخابات، وبخصوص تقييم المستجوبين لانجازات التنظيمات السياسية، نجد أن 13% فقط من عبروا عن رضاهم بخصوص أداء الأحزاب السياسية.

على الرغم من ضعف مشاركة الشباب السياسية (38%)، وتعبيرهم عن عدم رضاهم على أداء الأحزاب (نسبة الرضا: 13%)، إلا أنهم أكثر دراية واضطلاعا بالسياسة -بالمقارنة مع الأشخاص الذين يتجاوز عمرهم 59 سنة-، حيث نجد أن 23% من الشباب مقابل 49% من الأشخاص الذين يتجاوز عمرهم 59 سنة، يصرحون عن اهتمامهم بالسياسة، والأمر الذي يؤكد أيضا هذا التوجه هو درجة إلمامهم بالقضايا المرتبطة بهذه الأخيرة، ف 22% من الشباب مقابل 12% من الأشخاص الذين يتجاوز عمرهم 59 سنة يقرون بتوجههم السياسي، بينما نسبة الانخراط في الأحزاب السياسية لا تتعدى 1% مقابل 3% بالنسبة للأشخاص الذين

دراسة : الشباب المغربي والقيم : بين الثبات والتغير

يتجاوز عمرهم 59 سنة.

أما فيما يتعلق برغبة المستجوبين، الشباب المستجوب والأشخاص المتجاوزة أعمارهم 59 سنة، على السواء، في الانضمام المستقبلي للأحزاب، فتشكل على التوالي 12% مقابل 7%، الشيء الذي يكشف على أن العزوف عن المشاركة السياسية هو موقف لا يرتبط بالضرورة بدرجة الثقافة السياسية.

لا تعتبر تنظيمات المجتمع المدني والتنظيمات السياسية (الأحزاب والنقابات) مصدر اهتمام أغلب المستجوبين، وخصوصا إذا تعلق الأمر بقياس درجة انخراطهم ومشاركتهم بهذه التنظيمات. الأمر الذي يعود، من جهة، إلى عدم الثقة في مستقبل البلد بصفة عامة، وبالتالي عدم الثقة والرضا عن أداء وإنجازات مختلف التنظيمات السياسية أو تنظيمات المجتمع المدني، إلا أنه وبالرغم من هذا «الصدود»، تظل الجمعيات، وبتفاوت بسيط بالمقارنة مع باقي التنظيمات، محط اهتمام وثقة المستجوبين، الشباب خصوصا،

رغم أن الانخراط الفعلي بها لا يزال بعد «محتشما» (9%)، إلا أن الرغبة في الانخراط (44%) والتعبير عن درجة الرضا بخصوص أدائها، يعكسان نوعا من التفاؤل بعمل الجمعيات.

3. الشباب والتدين:

أ. الشباب والقيم الدينية:

عمدت هذه الدراسة إلى الوقوف عند جملة من المتغيرات، والمؤشرات التي يمكن من خلالها التعرف على مواقف المستجوبين، من جهة عبر الممارسات التي يقومون بها، ومن جهة ثانية، عبر التعبير عن آرائهم بخصوص ما يمارسونه.

• **المؤسسات السياسية:** صرح 10.8% من الشباب المستجوب بانتمائهم إلى أحزاب سياسية، و19.6% منهم عبروا عن رغبتهم في الانضمام إلى التنظيمات الأنفة الذكر. إلا أن التناقض الموجود على هذا المستوى هو أن 6.6% فقط من أكدوا على أن الأحزاب السياسية تستحق أن ينضم لها المواطنون، و1.8%

فقط من لديهم الثقة فيها. أما 2.2% من المستجوبين من عبروا عن ثقتهم في الدولة مقابل 79.8% والذين لا يتقنون في أية مؤسسة ماعدا الأسرة.

من هنا يبرز الدور الأساسي الذي تلعبه الأسرة في إنتاج القيم المنقولة للشباب، إلا أن المؤسسات التربوية، النظراء، الجمعيات،³⁹ المقاهي،... فتدخل جميعها في منافسة مع الأسرة، لتعديل وإعادة صياغة هاته القيم، علاوة على الاحتكاك بثقافات أخرى.⁴⁰

• **الممارسات الدينية:** يؤدي 44.7% من الطلبة المستجوبين الصلاة بشكل منتظم مقابل 46% ممن لا يصلون بشكل منتظم، 8.9% لم يؤديوا الصلاة قط.⁴¹ بينما صرح 58.3% من المستجوبين بتأييدهم لفكرة ارتداء الحجاب، مقابل 9.6% من هم ضد ذلك و32.1% بدون رأي (60.8% من الإناث مع ارتداء الحجاب، مقابل 54.8% من الذكور، من جهة أخرى: 13.6% ضد ارتداء الحجاب، مقابل 6.7% من الإناث). يلاحظ أن الإناث هن الأكثر

الهوامش

34 - R. Bourqia, M. EL Harras, D. Bensaid. op. cit. p. 87

35 - H. Rachik. 2005. op. cit. p 49

36 - Idem

37 - Ibid. p: 54-55

38 - Ibid. p. 55.

40 - R. Bourqia, M. El Ayadi, M. El Harras, H. Rachik. 2000. op. cit. p. 21

41 - Ibid. p. 43

39 - 15.1% منخرطون في جمعيات

تشبثا ودفاعا عن ارتداء الحجاب مقارنة بالذكور، رغم أن حماية جسد الأنثى «إيديولوجية أبيسية»، إلا أنها عملية تم استدخالها من طرف الإناث.

يعبر الذكور عن الوصاية المطلقة على الأنثى، ومن خلالها على المجتمع بكامله، الأمر الذي يعيد ترتيب مسألة الحجاب والنقاش الدائر حولها ضمن إشكالية النوع والعلاقة بين الجنسين، وليس على مستوى العقيدة أو السلوك الديني والأخلاقي كما تؤسس لذلك الصورة النمطية للحجاب وتكرسها آليات الاسترجاع الإيديولوجي المصاحبة والمكرسة لها.⁴²

• الثقافة المحلية والقيم الدينية:

يؤمن 75.8% من المستجوبين بوجود «العين الشريرة»، كما يصدق 55.6% منهم بأن «الحسد» يؤذي الناس، ويعتقد 69% بالسحر، و49.2% يعرفون شخصا «ضربه» الجن، كما أن 39.9% من الشباب المستجوب سبق لهم أن قاموا بزيارة الأضرحة والصلحاء، لتمثل الإناث 44% من هذه الإجابات. يلاحظ أيضا على هذا المستوى أن الإناث هن الأكثر إيمانا بهذه المعتقدات من الذكور.

• الاختلاط بين الجنسين:

91.3% من المستجوبين عن قبولهم بالاختلاط داخل المدرسة، مقابل 8.7% فقط من هم ضد ذلك، مع اختلاف بسيط بين الجنسين، وقد تمت معاناة نفس المنحى بالنسبة للاختلاط بالعمل ف 84.5% من الذكور المستجوبين ليسوا ضد هذا الأمر.

على الرغم من قبول أغلب المستجوبين بعمل المرأة (81% من المستجوبين يقبلون بعمل المرأة مقابل 16.4% ممن يرفض) غير أنه يظل قبولا «مشروطا»، حيث إن 56% من الشباب يقبلون بمشاركة المرأة في الحياة السياسية مقابل 22.9%، إلا أن 20% من المستجوبين يظلون بدون رأي.

يطبع هذا التوجه نوع من التردد بخصوص مشاركة المرأة في الشأن السياسي، باعتبار الرجل هو الفاعل الرئيس في المشهد السياسي.

• الشباب والجنس: أجاب 37.9%

من الشباب عن هذا السؤال بالإيجاب، مقابل 62.1%، مع العلم أن 90.4% من الشباب المستجوب لم يتزوج بعد، كما تتراوح أعمارهم بين 16 و27 سنة. بينما أجاب 72.4% من الذكور بالإيجاب حول مرورهم بتجارب جنسية، أما الإناث، ف 13.3% فقط من كانت إجاباتهن بـ «نعم».

يرجع السبب وراء ارتفاع نسبة المستجوبين الذين يقرون بعدم ممارستهم لعلاقات جنسية سابقة إلى أمرين اثنين: الأول هو أن الجنس لا يزال يشكل تابوها في المجتمع المغربي، وما زالت العلاقة الجنسية أمرا من الصعب البوح به، إذا مورس خارج المؤسسة الزوجية. أما السبب الثاني، فيرجع إلى طبيعة القيم الدينية التي يستمدجها الشاب المغربي، والتي تعتبر العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج بمثابة محرم أو «زنا» -حسب الوصف الديني لهذه الممارسة-. فإذا

كان هذا النوع من الممارسة «محظورا دينيا» على كلا الجنسين، فالأمر يختلف على المستوى الثقافي، لأن الممارسة الجنسية عند الذكور قبل الزواج أمر مقبول، بل ومحبد، اجتماعيا وثقافيا، إلا أنها مرفوضة بشكل صريح عندما يتعلق الأمر بالأنثى، التي تظل تحت رقابة، ومراقبة اجتماعيتين مستمرتين. ومن هنا نلاحظ «التناقض الموجود بين السجل الديني والسجل الثقافي بخصوص الجنس».⁴³

• اختيار الزوج والنموذج الأسري:

عبر 59.4% من المستجوبين عن رفضهم لتعدد الزوجات، مقابل 21.7%. كما اعتبر 34.9% منهم أن التعليم هو أهم ميزة يجب أن تتوفر في الشريك المستقبلي، أما 29% فيرجحون كفة التدين، 18.6% التدين بالإضافة إلى ميزة أخرى، 7.7% الجمال. أما بخصوص الأسرة النموذج، فقط ذهب 64.4% من المستجوبين الى اعتبار أن العدد المثالي للأبناء هو بين طفل إلى ثلاثة أطفال، مقابل 24% ممن كانت إجاباتهم على الشكل التالي: «الي بغا الله».⁴⁴

• العلاقات الأسرية: إذا كان الأبوان

أقل حفا في الولوج للأسلاك التعليمية العليا، فلم يمنعهم ذلك من دعم أبنائهم للتمكن من ذلك. ومن جهتهم، يحمل الشباب المستجوب تصورا آخر للأسرة، سيتم عبره الانتقال إلى نموذج مختلف عن نموذج الأسرة الموجهة. فبالرغم من أن أغلب أمهات المستجوبين هن ربات بيوت، إلا أن الشباب قد عبروا عن ميلهم

دراسة : الشباب المغربي والقيم : بين الثبات والتغير

للزواج من نساء شغيلات.

رغم المفارقات الموجودة بين الأبوين وأبنائهم، على المستوى القيمي، غير أنهما عملا على تقوية «الحركة البيجيلية»⁴⁵، فمن جهة، نجد دعم الأبوين لتحسين مستوى أبنائهم التعليمي، أي بدعمهم لذلك الانتقال من نموذج الابن الذي يجب أن يكون بجانب أبيه في الحقل، أو الورشة، أو المقولة الأسرية، إلى نموذج آخر يتفرد فيه الابن باختياراته المهنية، وتوجهاته المعرفية عن أسرته. من جهة ثانية، يحاول الابن بدوره الانتقال من نموذج أسري إلى آخر، حيث يختار من خلاله زوجة يختلف عملها عن عمل أمه (العمل داخل البيت) أي عمل يتخطى عتبة البيت للتوجه نحو العمل المأجور.

يفيدنا استخلاص نتائج الدراسة من القول إن الشباب المغربي يعيش «حالة من التمزق»، بين التدين الرسمي من جهة، والتدين الشعبي من جهة ثانية، والمرجعيات الحداثية (القبول بالاختلاط بين الجنسين في العمل والمدرسة، و تبنيهم لسياسات التخطيط العائلي) من

جهة أخرى، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور مجموعة من الممارسات غير المستوحاة من مرجعية معينة ووحيدة، بل تارة من معتقدات ثقافية محلية كالإيمان بوجود «العين، السحر أو الحسد»، وتارة أخرى، للاستجابة لحاجيات سيكولوجية⁴⁶، كزيارة الأضرحة والصلحاء كميكانزمات دفاعية من خوف ناتج عن قرب فترة الامتحانات مثلا، أو الرغبة في الزواج أو البحث عن الحظ.

في خضم تعدد مرجعيات الشباب المحددة لاختياراته ومواقفه وسلوكاته، يلاحظ نوع من «التناقض والمفاوضة»⁴⁷ كاستراتيجيات وسيطة بين سجلات مختلفة: ثقافية، دينية واجتماعية.

في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يعرفها المجتمع المغربي، لحقت بالمراحل العمرية، بشكل عام، وبالشباب بشكل خاص، تعديلات مختلفة، ليصبح مرور الشاب من المسار الدراسي وولوجه إلى سوق الشغل، ليس أمرا محسوما ولا فوريا، فقلة فرص العمل تلزم الشباب بأن يظل في فترة تبعية أطول للأسرة، مع ما تفرضه هذه

التبعية من ضرورة التكيف، فبعد أن تظن الأسرة أنها قد أكملت مهمتها، تجد نفسها من جديد مسؤولة عن «شاب» لم يستقر بعد في عمل أو لم يستقل بعد في بيته الخاص.

ليست الأسرة أو الشباب «الراشد المؤجل» المحبطين الوحيدين في ظل هذا الوضع، بل تطال حالة الإحباط هاته التلاميذ والطلبة الذين يستشعرون تأجيل طموحاتهم وبالتالي مساراتهم الحياتية، وهذا ما يفسر عزوف أغلبهم عن الدراسة باعتبارها العقبة أمام انتقالهم من سن لآخر.

ب. «الإسلام المألوف» :

عمل الباحثون خلال هذه الدراسة على دراسة علاقة الشباب بالديني⁴⁸، وذلك عبر تحليل آراء ومواقف مختلف الفئات العمرية الممثلة في العينة. تتبلور محاور الدراسة حول النقاط التالية:

- علاقة الأجيال بالدين: وقفت الدراسة على المعاينة التالية: وهي أن الشباب أقل ممارسة للطقوس الدينية

الهوامش

42 - ادريس بنسعيد، الشباب والحجاب في المغرب، الجمعية المغربية لنساء المغرب، 2007. ص: 76.

43 - R. Bourqia. M. El Ayadi. M. El Harras. H. Rachik. 2000. op. cit. p 77

44 - Ibid. p 82

45 - Ibid. p. 175

46 - Ibid. p. 69

47 - Ibid. p. 84

48 - حاولنا من خلال هذه القراءة التركيز على الفصل الثاني من الكتاب لدراسته للشريحة التي تهتم بالشباب.



من الكبار، إلا أن هذه الممارسة ترتفع نسبتها كلما تقدم الفرد في السن، وتوصلت الدراسة أيضا إلى أمر في غاية الأهمية مفاده أن الشباب المغربي المسلم أكثر تدينا من «شباب الأمس»، في هذا الصدد يتساءل الباحث: هل نحن أمام فعل السن أم تأثير الجيل؟⁴⁹

تفضي هذه المعايينة إلى أن التدين يتعلق أساسا بالالتزام وممارسة الطقوس، وليس التدين المبني على الإيمان والاعتقاد. يتجلى التقيد بالطقوس في ممارسة الصلاة والتي ترتبط بعامل السن، فكلما تقدم الفرد في السن كلما تدنو لديه فكرة الموت، وبالتالي يصبح مواظبا على جملة من الممارسات الدينية وخصوصا الصلاة، غير أننا اليوم نشهد وفي سن مبكرة ارتفاع نسبة الأشخاص الممارسين للطقوس الدينية، لذا لا يمكن، وتبعا للدراسة، الاختصار على محدد السن البيولوجي لفهم هذه الظاهرة، لذا عمد الباحثون خلال تحليلهم للواقعة على محدد آخر وهو الجيل كبناء سوسيولوجي وتاريخي يتلاءم والإشكال المطروح.

ركزت الدراسة أيضا على تحديد مدى التزام المستجوبين بالممارسات الدينية المتمثلة في الركين الأساسيين للإسلام، وهما الصلاة والصوم، وقد كانتا مجالا للتحليل النسقي خلال هذه الدراسة.

فيما يتعلق بممارسة الصلاة، يؤدي 73.7% من المستجوبين صلواتهم الخمس بشكل يومي، ومن بينهم

أمر يمكن التسامح فيه. غير أن المفارقة التي تظهر في هذا المستوى هي أن الأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر أكثر تسامحا في هذا الجانب مقارنة بالفئة الشابة من المستجوبين (28.3% مقابل 45.1%). رغم ضعف نسبة الصيام خارج شهر رمضان، فإن الأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر يقدمون بذلك بشكل أكثر مقارنة مع الأشخاص البالغين 18-24 سنة.

لا يتوقف الأمر عند المقارنة بين الفئتين العمريتين فقط عند الممارسة في حد ذاتها، بل وأيضا عند المواظبة عليها، وهذا ما لوحظ بالنسبة للأشخاص الأكبر سنا بالعينة، والذين يواظبون أكثر من الفئة الشابة على أداء صلاة الجمعة بشكل جماعي. لوحظ نفس الأمر بالنسبة لأداء صلاة عيد الأضحى وعيد الفطر وليلة القدر.

• **الشباب ومكانة المرأة:** كشفت الدراسة عن وجود ثلاثة معايير أساسية محددة لاختيار الزوج؛ أهمها توفره على عمل (62.5%)، يليه معيار

65.7% ممن يقومون بها بشكل منتظم، و8% يؤدنها بشكل غير منتظم. بينما لا يمارس 14.6% منهم الصلاة ولم يقيم بها في الماضي سوى 11.7% من المستجوبين إلا أنهم لم يستمروا في أدائها.

ترتفع نسبة الممارسة الدينية مع التقدم في السن، لذا فالشباب أقل ممارسة وأقل مواظبة على أداء الممارسات الدينية وخصوصا الصلاة.

عند الحديث عن الصيام، يجب التمييز بين صيام شهر رمضان، كممارسة شائعة لدى المسلمين، وصيام أوقات معينة كالاثنتين والخميس من كل أسبوع وبعض الأيام بشهر شعبان وغيرها، كممارسات دينية تم نقلها عن طريق التقليد «اقتداء» بالرسول محمد.

يعد صيام شهر رمضان بالنسبة لأغلب المستجوبين معيارا أساسيا لاختبار إيمان المسلم، مما يفسر اختلاف درجة تسامح المستجوبين بخصوص عدم صيام شهر رمضان وعدم أداء الصلاة، حيث لا يقبل 40.1% من المبحوثين بعدم الصيام، بينما يعتقد 19.7% بأن عدم أداء الصلاة

دراسة : الشباب المغربي والقيم : بين الثبات والتغير

التدين (34.3%)، ثم الغنى والمال (9.9%).

يتفق جميع المستجوبين مع اختلاف انتماءاتهم العمرية، حول هذه المعايير وأولويتها مع تفاوت في النسب، حيث تقل نسبة تفضيلية العمل كمعيار في اختيار الشريك، كلما انتقلنا من فئة الشباب إلى فئة الأكبر سنا، لترتفع نسبة معيار التدين بالنسبة لهذه الفئة الأخيرة وتقل عند الشباب. لا تعرف المعايير السابقة نفس الثبات عندما يتعلق الأمر باختيار الزوجة، فالتدين هو المعيار الأساسي (51.6%) بالنسبة للمستجوبين، يليه معيار النسب (12.5%)، ثم «المعقول» (11.5%)، وأخيرا العمل (9.7%).

على الرغم من الإجماع على أهمية التدين، كمعيار أساسي في اختيار الزوجة، من طرف الفئتين العمريتين المستجوبتين، إلا أن نسبة تواتره تختلف من فئة عمرية إلى أخرى، وكذا ترتيب المعايير حسب الأولويات. فبالنسبة للشباب، يأتي مباشرة بعد الدين، العمل. بينما يحتل هذا الأخير المرتبة الرابعة عند الأشخاص البالغين 60 سنة، ليتوسطاهما «الأصل» (النسب) و«المعقول».

أما بخصوص موقف المستجوبين من تعدد الزوجات، فإننا نلاحظ ميل الأكبر سنا، أكثر من الشباب، إلى تعدد الزوجات، والملاحظ هو أنه كلما انتقلنا من فئة عمرية أصغر إلى فئة عمرية أكبر، كلما ارتفعت نسبة الأشخاص الذين يقبلون بتعدد الزوجات.

يعتقد 24.4% فقط من المبحوثين بوجود زي إسلامي بالنسبة للرجل، وخصوصا الشباب فهم أقل اعتقادا من الأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر بهذه المسألة، لكن يختلف الأمر عند الحديث عن «الزي الإسلامي» للمرأة، حيث يجمع 66.1% من المستجوبين بوجود هذا الزي، مع تفاوت بسيط بين الشباب والأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر، إذ لا يتعلق الأمر هنا بالرجوع إلى «الزي التقليدي» الذي كان (ولا يزال) منتشرا لدى جيل الأمهات، وإنما بظاهرة جديدة تجعل من شكل ومواصفات اللباس لدى المرأة، رمزا أساسيا من رموز الانتماء أو التعاطف مع مشروع مجتمعي وسياسي جديد، يجعل من تطابق لباس المرأة مع مواصفات أخلاقية أو دينية محددة أحد أهم مكوناتها»⁵⁰.

• الاختلاط بين الجنسين: كشف

مواقف المبحوثين عن قبول الاختلاط بالمدرسة بالنسبة لـ 77.2% من المستجوبين، بينما يمثل قبول الاختلاط بين الجنسين خلال الاحتفالات الأسرية 50% من مجموع الإجابات، غير أن أضعف نسبة قد سجلت بالنسبة لقبول الاختلاط بالشاطئ 29.8%. تتفاوت هذه النسب حسب الفئات العمرية المستجوبة، بحيث يقبل الشباب أكثر من الأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر بالاختلاط بين الجنسين في مختلف الفضاءات التي حددتها الدراسة.

• التدين: يظل الاعتقاد ببعض الممارسات المرتبطة بالدين الشعبي حاضرة بقوة⁵¹ في المجتمع المغربي، إذ سجلت الدراسة نسبة مهمة بخصوص الإيمان بالعين الشريرة، السحر، الجن، وغيرها، رغم الاختلافات الموجودة بين مختلف المستجوبين، والمتعلقة بدرجة الإيمان بهذه المعتقدات والممارسات بين الفئات العمرية المستجوبة، إلا أنه اختلافا بسيطا لا يمكن أخذه بعين الاعتبار من أجل ربط متغيرة الممارسة الشعبية بمؤشر السن.

• الدين والسياسة: في ظل العزوف عن الشأن السياسي لدى الشباب المغربي،

الهوامش

49 - M. El Ayadi, H. Rachik, M. Tozy. Op. cit. p. 109.

50 - ادريس بنسعيد. 2007. مرجع مذکور. ص. 5.

51 - يؤمن 92.25% بالعين الشريرة، يعتقد 90.93% بالسحر، و90.84% بالجن، و74.82% «التفاف» (العجز الجنسي الناتج عن طريق السحر) ثم 39.84% ب «الشوافة» (العرافة).

سُجل «اهتمام ناشئ»⁵² عند هذه الفئة بالعمل الجماعي وتنظيمات المجتمع المدني. في هذا السياق توصل البحث إلى أن 4% من المبحوثين ينتمون إلى جمعيات المجتمع المدني، وخصوصا الفئات الشابة المستجوبة.⁵³ كما يعزز هذا «الاهتمام الناشئ» رغبة 56.1% من المستجوبين في الانضمام لجمعيات.⁵⁴

يتدخل الدين في توجيه الحياة الشخصية للفرد والسياسة بالنسبة ل 44.8 % من المبحوثين، من بينهم 45.2% من الشباب المنتمين للفئة العمرية 18-24 سنة مقابل 60% من الأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر. كما لا يعتقد 48.8% من الفئات المبحوثة أن تدخل الدين في السياسة يمكن أن يكون له عواقب وخيمة. تمثل نسبة الفئة العمرية البالغة 18-24 سنة: 46.4%، مقابل 60% من الأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر.

على ضوء مختلف النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، تبين وجود ارتباط مهم -بالمعنى الإحصائي للكلمة- بين التقدم في السن وارتفاع نسبة تواتر الممارسة الدينية، إلا أنه وبالرغم من وجود فوارق رقمية مهمة وواضحة بين الفئات العمرية المدروسة، وخصوصا بين الشباب والأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر والمرتبطة بحجم الممارسات الدينية، إلا أننا نقف عند مفارقة هامة تتجلى في كون الشباب المغربي اليوم أكثر تدينا من السابق، وبالتالي أكثر إقبالا على الممارسات الدينية، بينما الأشخاص

المسنون حاليا أقل تدينا من أجيال الماضي.

من خلال هذا الاستنتاج، وجد السؤال الذي انطلق منه الباحثون في بداية دراستهم لعلاقة الشباب بالدين، «الممارسات الدينية: هل تأثير السن أم تأثير الجيل؟»⁵⁵، إجابة له لتضاف للتساؤل السابق تساؤلات أخرى: هل ترتبط الممارسة الدينية بالسن أم الجيل أم الحقبة الزمنية والتحول الاجتماعي والسياسية التي تعرفها، أم هي نتائج تأثير هذه العوامل جميعها؟⁵⁶

فإذا كان الشباب المغربي اليوم، لا تقل درجة ممارسته للطقوس الدينية من الفئات العمرية الأكبر سنا، فلا يمكن اعتبار السن البيولوجي، إذا، المحدد لهذه الممارسات، ليظل تأثير الجيل والحقبة التاريخية للذات يوطران هذه الممارسات أكثر توافقا وانسجاما مع تفسير عودة وإحياء التدين بالمجتمع المغربي.

يجرنا الحديث عن الحقبة التاريخية المؤطرة للممارسات الدينية إلى التطرق للعلاقة التي تربط حاليا السياسي بالديني بالمجتمعات الإسلامية، حيث بدأ الحديث، وفي ظل التحولات التي يعرفها المشهدان السياسي والاجتماعي، عن «غليان» سياسي بالعالم الإسلامي.⁵⁷

أفصحت العلاقة بين السياسي والديني، وحسب المستجوبين، على الصلة الموجودة بين المستوى التعليمي وتقييم هذه العلاقة، بحيث ترتفع نسبة

الإجابات ب «لا نعرف» أو «لا مبالي» في صفوف المبحوثين غير المتدربين، الأمر الذي يعكس عدم قدرة هذه الشريحة في تقييم علاقة السياسة بالدين. بينما تستند إجابات الشباب، مقارنة بالأشخاص الأكبر سنا، إلى مرجعيات الإسلام السياسي، إلا أنها ليست إجابات غالبية، إذ يمكن اعتبارها تعبيراً عن رأي أقلية من الشباب المبحوث المتدرب.

III. الأدبيات السوسولوجية المدروسة: الثابت والمتحول في المنظومة القيمية

بعد استعراض نتائج هذه الدراسات التي غطت ما يناهز نصف قرن من تاريخ المغرب المعاصر، سوف نتساءل عن الثابت والمغير في القيم التي تطرقت لها كل هذه الدراسات، بدرجات ومستويات مختلفة، وسنركز بصفة خاصة على القيم والممارسات المرتبطة بالأسرة، الزواج وإشكالية النوع الاجتماعي، والقيم المتصلة بالعمل، وتلك المتعلقة بالدين، بشكليه الرسمي والشعبي، وكذا المشاركة السياسية والجموعية.

1. الأسرة، الزواج والنوع الاجتماعي:

أ. الأسرة: تنهج الأسرة المغربية إيديولوجيتها الخاصة، والتي تسعى من خلالها نحو التفرد والاستقلالية عن الروابط القرابية والجوارية، ومن بين

دراسة : الشباب المغربي والقيم : بين الثبات والتغير

أهم مظاهر التفرد والاستقلالية التي أصبحت تعرفها الأسرة المغربية:

• تراجع الميكانيزمات المحافظة على النسب: فإذا كان الهم الحاضر لدى الأجيال السابقة هو تأكيد النسب بتوريث الابنة اسم جدتها أو الابن اسم جده، كآليات للحفاظ على الموروث الرمزي للأسرة، فالأمر لم يبق كذلك الآن،

• ضعف روابط الجوار: فرضت طبيعة السكن بالمدن والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها الأسرة، روابط جوار تختلف عما كانت عليه في السابق، والتي تنبني على قيم جديدة،

• تقليص أبعاد ومجال التضامن الأسري: صارت الأسرة النووية مركز الاهتمام عوض الأسرة الممتدة، ومن بين مظاهر تراجع التضامن الأسري تراجع الزواج الداخلي الذي أصبح متجاوزا، حيث بات اختيار الزوج أو الزوجة اختصاصا يخرج عن نطاق اختصاصات الأسرة.

ب. الزواج:

• أدى الارتفاع السريع للسن عند الزواج الأول، إلى امتداد كبير لفترة العزوبة، منذ إحصاء 1960 إلى حدود إحصاء 2004، وصل إلى 7.6 سنة بالنسبة للذكور بالوسط الحضري، مقابل 5.4 سنة بالوسط القروي و9.6 سنة للإناث بالوسط الحضري، مقابل 8.3 سنة بالوسط القروي، وهو ما يطرح التساؤل عن دور التنظيمات والمؤسسات في تأطير، واحتواء هؤلاء الشباب الموجودين خارج مؤسسة اجتماعية مبنية، ومن بينها مؤسسة الزواج.

• يتضح من خلال هذه المقارنة الأفقية، أن هناك تطورا سريعا بالنسبة للسن عند الزواج الأول، أي أن الشباب الذي شارك في دراسة باسكون وبنطاهر كان يتحدث عن أمر واقعي، بينما يتحدث الشباب المشاركون في الدراسات الأخرى عن اختيار افتراضي، أي أن جانب القيم عوض تدريجيا جانب الاستراتيجيات الزوجية الواقعية.

تفضي هاتين المعاييرتين، من ناحية، إلى التساؤل حول معايير اختيار الزوجة⁵⁸، ومن جهة ثانية، إلى كيفية تدبير الشاب لحالة طبيعية (الرغبة الجنسية) خارج مؤسسة الزواج.

عند الحديث عن معايير اختيار الزوجة، نقف عند منظومتين من القيم: قيم الآباء وقيم الأبناء، حيث تحاول كل منظومة فرض منطقتها على الأخرى.

ففي الوقت الذي يرغب فيه الابن في اختيار شريكته وفق قيم حديثة وناشئة تنبني على المساواة في الحقوق والواجبات، التعاون الأسري، تقسيم العمل، والعقلانية، إلخ، تدخل منظومة قيم الآباء في فرض مقتضياتها المتمثلة في قيم الطاعة، «المعقول»، «الرزانة»، «الحداكة»...، كمعايير أساسية في اختيار الزوجة، قيم تتعارض مع النسق القيمي الذي يحاول من خلال الابن اختيار شريكته.

يؤدي هذا التباين بين قيم الآباء والأبناء بهذا الخصوص، إلى محاولة

الهوامش

52 - M. El Ayadi, H. Rachik, M. Tozy. op. cit. p. 158.

53 - من بينهم 5.5% من الفئة العمرية 18-24 سنة، 3.8% من فئة 25-34 سنة، 3.8% من المستجوبين 45-59 سنة، و0.7% فقط من الأشخاص البالغين 60 سنة فأكثر.

54 - رأي مختلف للفئات العمرية: 18-24 سنة: 67.5%، 25-34 سنة: 61.7%، 45-59 سنة: 53.9%، البالغين 60 سنة فأكثر: 42%.

55 - M. El Ayadi, H. Rachik, M. Tozy. op. cit. p. 109.

56 - Ibid. p. 230.

57 - Idem.

58 - اكتفينا بتحليل الشق المتعلق بمعايير اختيار الزوجة، وذلك لأننا حاولنا مساءلة قيم الشباب بخصوص النوع الاجتماعي وتحديد في علاقته بالمرأة.

الشأن العام وتقلدها لمناصب القيادة والزعامة.

يعكس هذا الموقف، إذن، تبني الشباب، في الآن ذاته، لمنظومتين من القيم: «الناشئة» و«التقليدية»، الأمر الذي يمكن أن نفسر من خلاله الرفض أو القبول للعديد من الممارسات المرتبطة بالنوع الاجتماعي.

تندرج، إذن، قيمة النوع الاجتماعي في خانة الثابت من المنظومة القيمية للمجتمع المغربي، لكونها مازالت تحتل، من جهة، المكانة الأكبر داخل الاستراتيجيات الزوجية، ومن جهة أخرى، استمرار تكريس صورة المرأة المحافظة على «عرض وشرف» الأسرة.

2. العمل:

تفضي قراءة قيمة العمل من خلال الدراسات المشار إليها، إلى أن الشباب (المستجوبين خلال هذه الأدبيات)، قد ذهبوا إلى اعتبار العمل وسيلة لتحقيق طموحهم، والذي يلخصونه في غالب الأحيان في الحصول على المال.

فإذا ذهب الشباب المستجوب في

الشباب عبر مختلف هذه الأدبيات، حالة من «اللاتجانس» بين تمثلاتهم للنوع الاجتماعي ومواقفهم تجاه أنماط مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية.

فإذا كان الاختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة، كوسائل النقل والعمل والمؤسسات التعليمية، تحول تدريجيا إلى ممارسة مقبولة اجتماعية، غير أن هذا القبول يظل مشروطا، حيث يعتبر الاختلاط في الشاطئ مثلا أمرا شبه مرفوض، حسب الأدبيات المدروسة، الشيء الذي يعكس استمرارية فكرة «حماية الجسد الأنثوي»، بدرجات متفاوتة، في خطاب الشباب (إناثا وذكورا)، ليست فقط كقناعة «دينية» يترجمها الشباب المبحوث بضرورة ارتداء الحجاب، بل كإيديولوجية أبيسية وإستراتيجية اجتماعية تحاولان تكريس صورة المرأة «العورة».

يسجل نفس «القبول المشروط» عندما يتعلق الأمر بعمل المرأة، فعلى الرغم من قبول الشباب بعملها، إلا أنهم يقبلون عن مضض مشاركتها في تدبير

التفاوض حول المعايير التي ترضي الطرفين معا، وبالتالي تكييف مؤسسة الزواج ومنطق المنظومتين القيميتين.

فيما يتعلق بالمسألة الجنسية، فإذا كان السن عند الزواج الأول وصل، حسب إحصاء 2004، إلى 28.7 سنة، فالسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو كيف يدبر الشباب حياته الجنسية منذ سن البلوغ إلى تلك السن، أي لفترة تتجاوز 14 سنة؟

يطرح سؤال تدبير الممارسة الجنسية خارج مؤسسة الزواج، تساؤلات ترتبط بالأساس بعلاقة الشاب، من ناحية، بالجنس، ومن ناحية أخرى، بالدين.

في هذا الإطار، نجد أن المجتمع يقوم بتدبير الأمر عبر تكريس إستراتيجية أبيسية تجعل من تجربة الفتى الجنسية أمرا محبذا ومقبولا اجتماعيا وتتويجا لفحولته، بينما يختلف الأمر بالنسبة بالفتاة، حيث يبرز «الوازع» الديني المغيب اجتماعيا في علاقة الفتى بالجنس، ليبرز بحدة في علاقة الفتاة بالممارسة الجنسية خارج مؤسسة الزواج، إذ تبدو ممارسة «محرمة» دينيا و«مرفوضة» اجتماعيا، لارتباطها ب «عرض الأسرة وشرفها» و«بكارة» الفتاة، التي تعد جزء من رأس المال الاجتماعي والرمزي الذي يتم من خلاله التفاوض حول معايير اختيار الشريك واستراتيجيات التبادل المرتبطة بطقس الزواج.

ج. النوع الاجتماعي: تعكس آراء



دراسة : الشباب المغربي والقيم : بين الثبات والتغير

إسلاما مبنيا على الاعتقاد والثقة بالقدر، الشيء الذي يجعل الأم في علاقة قوية مع الدين الشعبي،

• تعتبر المدرسة إطارا تنشئويا آخر يتلقى من خلاله الطفل تنشئته الدينية والتي تختلف عن تنشئة الأسرة، لأنها مبنية على المكتوب، وفي هذه المرحلة يتم تصحيح التربية الدينية الأسرية الشفوية،

• تلعب مجموعة النظراء دورا مهما في التنشئة عبر تبادل الآراء والأفكار وبالتالي تؤثر في الاختيارات الدينية للفرد وهو الإطار التنشئوي غير الرسمي،

• يعيش الشباب في «كوكبهم» الخاص والذي يدور حول فلك العولمة⁶³ التي فرضتها الصحافة (المكتوبة والسمعية-البصرية) كحامل لمخزون آخر من الرموز والدلالات التي وضعت الشاب في قلب الحداثة وبالتالي في فضاء بيثقافي⁶⁴.

4. المشاركة السياسية والجمعية:

سجلت مختلف الدراسات المشار إليها، وجود حالة من «التوتر» تطبع

الحداثة عن طريق الاختلاط بين الجنسين في المدرسة وفي العمل، وبقبولهم بتطبيق سياسة التخطيط الأسري، ومن جهة ثانية، نجد وإلى جانب هذه الحداثة، مرجعية أخرى تتعلق بالموروث الديني المكتوب والثقافة الشعبية.

لذا نجد أن اختيار قيم الشباب المغربي ومواقفهم الدينية مسألة رهينة بالعديد من السجلات: سجل الدين الرسمي أو المكتوب وسجل الدين الشعبي، وسجل التنشئة الدينية الأسرية.... هذا التعدد على مستوى السجلات المتدخلة في سيرورة التنشئة الدينية، يجعل موقف الشاب من «الدين» يطبعه الكثير من الغموض.

تبين «جنيالوجية»⁶² المواقف الدينية، وكذا دراسة الإطار الاجتماعي للتنشئة الدينية تأثر هذه المواقف بأربع قنوات تنشئوية على الأقل:

• تعد الأسرة المؤسسة الأولى التي تعرف الطفل بالقدس وتنشئه على الديني، وخصوصا من طرف الأم، لأنها تعتبر الوسيط الأساسي في سيرورة التنشئة داخل الأسرة، غير أنها وفي غالب الأحيان ما تكون غير متعلمة فتتمرر للطفل

دراسة باسكون وبنطاهر إلى القول: «لا نعمل لننتج بل للحصول على المال»⁵⁹، فإننا نلمس نفس الأمر بالنسبة للشباب في باقي الدراسات، إذ أن الهاجس الأكبر لدى هؤلاء الحصول على عمل بالقطاع العمومي، دون التفكير في معادلة المؤهل والمنصب، حيث إنهم يرغبون في وظيفة قارة وأجر يتجاوز في أحيان كثيرة مؤهلاتهم وخبراتهم⁶⁰، كما تقل عند هؤلاء الشباب روح المبادرة وخلق مقالة، الأمر الذي يؤكد ميلهم للعمل كمصدر للمال وليس كمجال للإنتاج.

يبرر الشباب تفضيلهم للعمل بالقطاع العام لكونه، من جهة، حسب وجهة نظرهم، «مجالا للأمان»⁶¹، ومن جهة أخرى، لأن إنشاء المقالة يتطلب رأس مال ضخمة وعناء هم في غنى عنه، والذي يعزونه لتعقد المساطر والإجراءات الإدارية.

3. الدين:

تستمد ثقافة الشباب من العديد من التيارات والمرجعيات: الحداثة، الدين، والثقافة المحلية، حيث نلاحظ أنهم ينخرطون في نفس الآن في سيرورة

الهوامش

59 - P. Pascon, M. Bentaher. op. cit. p. 202.

60 - Consultation Nationale Des Jeunes, Ministère De La Jeunesse Et Des Sports, 2001. pp. 142-144.

61 - R. Bourqia, M. El Harras, D. Bensaid. op. cit. p. 72.

62 - R. Bourqia. M. El Ayadi. M. El Harras. H. Rachik. 2000. op. cit. p 21.

63 - Ibid. p 24

64 - Idem

علاقة الشباب بالتنظيمات الجمعوية والسياسية، إذ عبروا عن ذلك بأشكال مختلفة من العزوف والقطيعة مع هاته المؤسسات.

إن القراءة الرقمية للنسب التي جاءت بها هذه الدراسات بخصوص الانخراط بالجمعية أو الحزب السياسي، وكذا نسب المشاركة بالانتخابات مؤشرات تعكس حالة التوتر تلك. علاوة على ذلك، تبين من خلال تحليل خطاب الشباب المستجوب (الأدبيات المدروسة)، حالة من الإحباط التي تم ترجمتها بعدم الثقة في العمل السياسي، وبالتالي رفض المشاركة السياسية كرد فعل وموقف صريح يجسد من خلاله الشاب عزوفه عن هذا العمل، بالمقابل مازالت تشكل المشاركة الجمعوية، مقارنة بالمشاركة السياسية، مجالا افتراضيا «آمنا» بالنسبة للشباب، لكون نسبة الانخراط في الجمعية تظل، بدورها، ضعيفة، غير أن عدم الثقة في العديد من المؤسسات (الدولة، المدرسة، الحزب، ...)، وخاصة الحزب السياسي، خلق عند بعض الشباب الرغبة في البحث عن بدائل لمشاركتهم في الحياة الاجتماعية، الأمر الذي يفسر التزايد التدريجي لنسب الشباب الراغب في الانضمام للعمل الجمعوي.

تؤكد هذه الدراسات جميعها على أن الشباب المغربي يعيش «حالة من الإحباط» ومن «التمزق»؛ يتجلى هذا

الإحباط في عدم التوازن بين انتظارات الشباب وتطلعاته وما هو متوفر لديه وما يمكن أن يوفره له المجتمع بمختلف تنظيماته مستقبليا.

لا يقتصر الأمر على احتياجات الشاب المادية، بل وأيضا حاجته بالإحساس بمكانته ودوره داخل المجتمع. إن ضعف نسبة مشاركة الشباب في الحياة السياسية، والعمل الجمعوي ما هي إلا مظهرات، وتجليات، عن عدم الرضا، وموقف من الاستياء، إذ لا يجد الشاب في المجتمع مؤسسات تستجيب لانتظاراته، لذا تظل الأسرة التنظيم المفضل والأسمى بالنسبة للشباب المغربي. كما أن تراجع دور المؤسسة التعليمية ومكانتها عند الشاب المغربي، عزز احتفاظ الأسرة بجميع أدوارها التقليدية تجاه الأبناء.

لماذا حالة التمزق؟ في ظل تعدد سجلات التنشئة المهيكلة (المدرسة، الأسرة) وغير المهيكلة (الأصدقاء، الأقران)، ونظرا لتأثير العولمة والقنوات الفضائية وتقنيات التواصل والمعلومات، يجد الشاب نفسه وفي آن واحد في عوالم مختلفة، وفي مجالات يحاول كل واحد منها تكريس منظومة قيم خاصة به.⁶⁵

في خضم هذا التعدد والاختلاف، يحاول الشاب إيجاد حل يجعله في

حالة من التوازن الاجتماعي والثقافي، ليدخل في تفاوض حول القيم التي يمكن استبدالها. لذا لا يمكن الحديث، وتبعا لنتائج وخلصات الدراسات المقدمة، عن قطيعة بين المنظومة القيمية التي يتلقاها الأبناء، وتلك المسيرة للآباء، بقدر ما يصح القول، بوجود تفاوض ضمني حول القيم، فبالرغم من أن الأبناء يتبنون قيما جديدة، إلا أن هذه الأخيرة لا تكون «صادمة» للأجيال الأخرى، كما أننا نلاحظ وجود ثنائية- ازدواجية في منظومة قيم الأبناء والآباء على السواء، فالأب يقبل بعمل الفتاة وبتمدرسها، بينما لم يسمح لزوجته أو أخته في الماضي بذلك؛ ويتيح للأبن حرية اختيار الشريك، في حين يقلص من حرية اختيار الابنة لشريكها. في الآن ذاته يختار الشاب شريكته وفق القيم المرجعية المسيرة للمجتمع، لكن بمحاولة تكييفها مع القيم الجديدة ومقتضيات التغيير الاجتماعي.

يتضح أن الشباب بناء اجتماعي، وثقافي، يتماهى إلى حد كبير، مع القيم المرجعية للمجتمع المغربي، ويتحدد وفقها، وعلى هذا الأساس، يتبين أن دراسة الشباب لا يمكن عزلها عن صيرورة التحولات الاجتماعية، والقيمية للمجتمع، الذي يطبع بناء الأعمار بخصائصه. ■

الهوامش

- 65 - R. Bourqia, M. El Ayadi, M. El Harras, H. Rachik. 2000. op. cit. p.24
- M. El Ayadi, H. Rachik, M.Tozy. 2007. op. cit. p.140-143.

